شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد

الشيخ علي سلطان الجلابنة

الفصل الثالث للعام ١٤٣٧

١٤٢٩هـ
مَعهدُ العلومِ الشَّرعيَّة

معهد العلوم الشرعية العالمي
تابع لملتقى طالبات العلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصلى الله وسلم وبارك على نبيه الكريم وعلى آله وصحبه والتابعين أما بعد؛

نبدأ إن شاء الله من مكان ما توقفنا، وكنا قد توقفنا عند باب قول الله تعالى: { فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ }

(المتن)

قال الشيخ/ محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله–: باب قول الله تعالى: { فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ } [١].

قال ابن عباس في الآية: الأنداد: هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل؛ وهو أن تقول: والله، وحياتك يا فلان وحياتي، وتقول: لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتانا اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان. لا تجعل فيها فلاناً هذا كله به شرك) رواه ابن أبي حاتم.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك». رواه الترمذي وحسنه، وصححه الحاكم.

وقال ابن مسعود: لأن أحلف بالله كاذبًا أحب إليّ من أن أحلف بغيره صادقاً.

وعن حذيفة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان». رواه أبو داود بإسناد صحيح.

وجاء عن إبراهيم النخعي، أنه يكره أن يقول: أعوذ بالله وبك، ويجوز أن يقول: بالله ثم بك. قال: ويقول: لولا الله ثم فلان، ولا تقولوا: لولا الله وفلان.

---

[١] البقرة : ٢٢ .

(الشرح)

هذا الباب أخواتي الفاضلات جعله الشيخ –رحمه الله– هو الذي قبله من الأشياء التي تتعلق بتوحيد الربوبية، وأنه يجب على الإنسان أن يفرد الله بالنعم وبالمشيئة وبالتعظيم، وهذا الباب شبيه جدًا بالباب الذي قبله، إلا أنه فيه زيادات مما يتعلق بالحلف بغير الله.

وطبعًا قوله: { فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ } يعني: أنداد جمع ند، يعني: لا تجعلوا له ﷻ نظيرًا أو مثيلًا، وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}[البقرة: ٢١] اعبدوا، العبادة جاءت هنا بصيغة الأمر، وهي طلب وأمر من الله ﷻ للناس جميعًا، والعبادة هي أقصى غاية في الخضوع والتذلل لله ﷻ.

وشرع وذكر العلماء لها أسماء منها أنها اسم جامع لكل من يحبه الله ﷻ ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة.

الذي خلقكم يعني: أنشأكم ووجدكم من العدم. والأصل في الخلق أ، يكون من العدم، لعلكم تتقون يعني: لكي تتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه. افعلوا كذا وكذا.

{الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ}[البقرة: ٢٢]، الأرض فراشًا يعني: تستقرون عليها، والسماء بناءً من فوقكم. بعد ذلك كله قال: ولا تجعلوا لله أندادًا يعني: نظراء ومثلاء، وأنتم تعلمون أنه لا ندّ له يشاركه في فعله.

ثم ذكر الأثر عن ابن عباس وعن عمر. وقال: وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك». وقبله هذا كله شرك، يعني: كفر دون كفر، أو شرك دون شرك، يعني: لا يخرج من الملة ابتداءً.

الآن – أخواتي بارك الله فيكم– قد يسأل سائل: كيف نجمع بين هذا الأحاديث وبين قوله ﷺ: «أفلح وأبيه أن صدق». ؟ وأيضًا هناك أحاديث أخرى في هذا المعنى؛

وطبعًا هذا الحديث قيل فيه أقوالًا كثيرة، بعضهم قال: هو منسوخ. وبعضهم قال: هذا كان من لغة العرب. وبعضهم قال: هو لم يقصد الحلف. وبعضهم قال: هذا كان في بداية الأمر. وهو النسخ. والذي يظهر -والله أعلم- القول بالنسخ هو أقرب.

أيضًا الاقسام بغير الله لا ينعقد، وهذه قضية فقهية، وليس فيه كفارة يمين، كالحلف بالله ﷻ وإنما كفارته أن تقولي ماذا أختي؟ أن تقولي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له. ثم ينفس الإنسان عن يساره ثلاثًا ويتعوذ، ولا يعود لذلك.

الأثر الوارد عن ابن مسعود، لما قال: لأن أحلف بالله كاذبًا أحب إليّ من أن أحلف بغيره صادقًا. هذا الأثر يُسمى حديثًا موقوفًا في اصطلاح المحدثين، وهذا الأثر يدل على أن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر، فهو أعظم من الزنا والكذب ومن شرب الخمر، وهذا ينبغي أن يُنتبه له. لأن كثيرًا من الناس يظن أن الشرك الأصغر أخف من الكبائر، وهذا كلام غير صادق.

ثم أورد المصنف -رحمه الله- حديث حذيفة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان». هذا لفظ محرم والسبب في تحريمه؛ لأنه ساوى بين الله ﷻ وبين فلان في المشيئة وهو من الشرك الأصغر.

لكن قولوا -للاستدراك- استدرك النبي ﷺ في الأمر الذي يجوز أن يقولوه، قال: « قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان » هذا أمر والأمر يقتضي الوجوب. فصيغة ما شاء الله ثم شئت واجبة.

هل هي كاملة؟ نقول: لا، هناك صفة أكمل منها، وهي أن تقول: ما شاء الله وحده. الآن مسألة ما شاء الله وشئت، ستأتينا بعد قليل إن شاء الله في باب منفصل.

قال: وجاء عن إبراهيم النخّعي، وبعضهم يقول: النخَعي، لكن الأضبط النخّعي.

الطالبة: هل يجوز الأمر بما يقدر عليه الإنسان؟

الشيخ: كيف يعني؟ يعني: أنت تريدي أن تأخذي سيارة والدك، فطلبتها من أمك، فقالت: إن شاء الله ثم شاء أبوك. نعم يجوز لكن تعلقيها بـ ثم. واضح. لا تعلقيها بواو ما شاء الله وشئت. لا يجوز.

الأثر الوارد عن إبراهيم النخّعي، وهو من أتباع التابعين، يُعد من تلامذة ابن مسعود ﷺ، وقال عن إبراهيم النخعي، هنا قضية مهمة جدًا، وهي الكراهة، الكراهة في لسان المتقدمين من السلف تُحمل على التحريم – انتبهوا بارك الله فيكم– وهذا عليه كثير من أهل العلم، كالإمام الترمذي والإمام أحمد وغيرهم؛ بخلاف الكراهة عند جمهور المتأخرين الذين علقوها بقضية الكراهة عند الأصوليين.

وهي إذا كان ما أُمر بتركه تركًا غير مجازًا، هذه الكراهة عند المتأخرين. لكن عند المتقدمين تُترك على التحريم. فهنا صيغة الكراهة، يُراد بها التحريم. واضح أخواتي بارك الله فيكم.

ماذا حرم؟ حرم صيغتان والصيغة الأولى: قولك: أعوذ بالله وبك. هذه لا تجوز وعلاقتها بالتوحيد أنها من الشرك الأصغر، ويجوز هذه إشكال، بل نقول: يجب إلا أن قصد –رضي الله عنه ورحمه الله– بقوله: يجوز.

وسبب تحريم الصيغة الأولى: أنه ساوى بين الله وبين غيره في التعوذ، ولذلك لما جاء رتبة فلان أقل من رتبة الله جاز، وهذا أن كان فلان استعاذوا به، كما قالت الأخت نجوى. بما يقدر عليه.

أما أن كان لا يجوز الاستعاذة به، يعني: لا يقدر أو كان ميتًا. أو كان بعيدًا لا يمكنه؛ فهذا يُحمل تفريدًا على تغليب. كأن يقول مثلًا: ميتًا أو بعيدًا أو يكون عاجز، فهذا نقول من السفه أن تقول ما شاء الله ثم فلان.

الصيغة الثانية: والجائزة طبعًا قوله: لولا الله ثم فلان، وهذه جائزة بشرط أن يكون فلان سببًا صحيحًا، والصيغة الثانية المحرمة، لولا الله وفلان، قال: لولا ناهية. والنهي

يقتضي التحريم. وعلاقته بالتوحيد على هذا الكلام أنه من الشرك الأصغر. لولا الله وفلان سببًا صحيحًا، وسبب التحريم التسوية بينه وبين الله ﷻ.

لولا الله وفلان، هذه لا تجوز لا خبرًا ولا إنشاءً، والثانية: لولا فلان هذه محرمة في باب دون الباب، فهي جائزة خبرًا، محرمة إنشاءً، كيف ذلك؟ يعني: إذا أخبرتي أن لولا فلان أعطاني كذا وكذا، من باب الإخبار أو منحني، وتيسر لي هذه الأمر، كمعاملة أو كذا. فهذا جائز من حيث الخبر أو من حيث الإنشاء، لا يجوز ذلك.

الآن مناسبة هذا الأثر، هذا مثل الصيغ المحرمة، أن جعل ندًا لله تعالى وكذا، هي مما يدخل تحت هذا الباب. والأبواب الآن بدأت تكون صغيرة. يعني: قد نمر على بابين أو ثلاثة أو أربعة في درس واحد.

(المتن)

باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله

عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « لا تحلفوا بآبائكم، من حلف بالله فليصدق، ومن حلف له بالله فليرض. ومن لم يرض فليس من الله»، رواه ابن ماجه بسند حسن.

(الشرح)

هذا الباب أيضًا له تعلق بتوحيد الربوبية، والمصنف –رحمه الله– جمع أبوابًا تتعلق بتوحيد الربوبية، وهذا الباب هو الباب الثالث وسيأتينا باب رابع وباب خامس.

وجميع الأشياء المتقاربة، جمعها كلها وجعلها بعضها بعد بعضها، وهذا جيد في التصنيف –رحمه الله ورضي عنه–، يقصد الشيخ –رحمه الله– بهذه الترجمة أن من لم يقنع، لم يكون عنده قناعة إذا حُلف له بالله فإنه ارتكب فعلًا محرمًا؛ لا يجوز.

لماذا؟ لما جاء من الوعيد على الإنسان الذي حُلف له بالله ﷻ ثم هو لم يرضٍ. وما حكم عدم الرضا والقناعة باليمين؟ لابد أن ننتبه لهذا القضية، ما حكم عدم الرضا والقناعة فيه تفصيل.

نقول: القسم الأول: أن يكون ذلك في باب الدعاوى والخصومات والمحاكم وما شابه ذلك. فهنا يجب القناعة بيمين الحالف. بغض النظر عن الحالف هل هو عدل أم هو فاسق هل هو مسلم أم كافر أم ذمي؟ هي دعاوى ومحاكم وخصومات، فلو اختصمت وشخص آخر، وليس عندك بينة، فليس إمامك إلا الحلف بالله ﷻ، واليمين على الخصم الذي ينكر، فيجب عليك القناعة.

لكن ما معنى القناعة هنا؟ هي ليست قناعة قلبية وإنما المعنى منها عدم الإنكار وعدم الرفض وعدم تجديد القضية، خلاص. نقبل يمينه على حاله، أما في داخل القلب فأن لم نقنع داخليًا فلا بأس.

ولماذا هذه القضية؟ لأن النبي ﷺ وضع قضية في الدعاوى والمحاكمات وما شابه ذلك. وهي حديثه ﷺ عندما قال: «البينة على المدّعي واليمين على من أنكر». هذه عامة. من أنكر عام؛ سواء كان يهودي مسلم ذمي نصراني، من كائنًا من كان.

طبعًا في عصر النبي ﷺ كان يحلفون في الخصومات، وحدث قصة من القصص وهي معروفة.

والنوع الثاني: في باب الاعتذار والتهم، وكلاهما ويترجح صدقه فهذا يجب قبول يمينه واعتذاره بنص حديث النبي ﷺ: «ومن حُلف له بالله فليرضْ». أما إذا كان الشخص معروفًا بالكذب، أو يترجح لك كذبه، فهذا لا يجب قبول يمينه في التهم والاعتذارات، والدليل قول الله ﷻ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ}[الحجرات: ٦]. وفي رواية أو قراءة فتثبتوا. هي رواية عن قالون.

هذه الآية تخصص عموم الحديث، من حلف إلا الفعل، ويدل عليه أيضًا قوله تعالى: {إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ}[المنافقون: ١]. وقوله أيضًا: {اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[المنافقون: ٢].

قال ابن عمر –رضي الله عنهما–: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « لا تحلفوا بآبائكم، من حلف بالله فليصدق، ومن حُلف له بالله فليرضْ. ومن لم يرض فليس من الله»، رواه ابن ماجه بسند حسن.

لا تحلفوا بآبائكم، يعني: لا تحلفوا بهم ولا بغيرهم، ولماذا ذكر الآباء؟ ذكر الآباء؛ لأن هذا المستعمل عند العرب غالبًا في ذلك الزمن، الحلف بالآباء لتعظيمهم، قال: فليصدق، والخبر المطابق للواقع. وهذا أمر من النبي ﷺ؛ بمعنى أنه يجب وينبغي عليك أن تحلف بالله وأنت متيقن، وأنت يغلب على ظنك كذا وكذا.

أما الحلف بالله كذب، فهذا يُسمى يمينًا غموسًا، تغمس صاحبها في نار جهنم والعياذ بالله ﷻ.

(المتن)

باب قول: ما شاء الله وشئت.

(الشرح)

قال بعد قوله: ما شاء الله وشئت. أيضًا هذا الباب له أسباب بتوحيد الربوبية. وهذا الباب هو الباب الرابع فيما يتعلق بتوحيد الربوبية، في هذه السلسلة التي أوردها المصنف بعضها بعد بعض.

قوله في الترجمة: ما شاء الله يعني: فيه إثبات المشيئة لله ﷻ، وما هي المشيئة؟ هي وصف قائم في ذات الله ﷻ وهي صفة لله تعالى، ومشيئة الخالق غير مخلوقة، لكن مشيئة

المخلوق مخلوقة والله ﷻ هو الذي خلقها. وهي للعبد هي مشئية كذب وفعل يؤاخذ عليه.

واضح بعد أن استعمل في الحال الصيغة المحرمة، نأمره بأن يستغفر الله ﷻ وينتهي عن هذه الصيغة، لأنها كما قلت لكم شرك، وسيأتينا التفصيل عنها بعد قليل إن شاء الله، لأن الإنسان قد يحلف بغير الله ﷻ ويكون شركه أصغر وقد يكون هذا شركًا أكبر.

السؤال: الآن ما الحكم في قولك: ما شاء الله وشئت. ؟

الجواب: هذه القضية تنقسم إلى قسمين لابد فيها من تفصيل. القسم الأول: أن يعتقد أن مشيئة العبد مثل مشيئة الله ﷻ مطابقة؛ فهذا أخواتي الفضليات شركًا أكبرًا، قال الله ﷻ: {إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ} [الشعراء: ٩٨]. التسوية في المشيئة والتصرف، هذه قضية خطيرة جدًا.

والقضية الثانية: أن يعتقد أنها أقل من مشيئة الله، لكن عطفها على مشيئة الله بالواو، فهذا شرك أصغر، انتبهوا وهذا هو المقصود في هذا الباب، ويدل عليه في أحاديث الباب التي ستأتي معنا.

لكن سبب قوله: شركًا أصغرًا؟ لأن الواو تقتضي العطف، والمساواة ويدل عليه أحاديث الباب التي ستأتي معنا، لكن سبب قوله شركًا أصغرًا، لأن الواو تقتضي العطف والمساواة، وهنا لما عطفنا هذا على هذا، أفاد المساواة في المشيئة، والمعروف أن مشيئة المخلوق تقع بعد مشيئة الله ﷻ.

، وبعضهم يقول: عن قُتيلة، الذي يظهر أنه عن قتيلة:

(المتن)

قال: عن قتيلة أن يهوديًا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إنكم تشركون، تقولون ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة، فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: «ورب الكعبة، وأن يقولوا: ما شاء ثم شئت» رواه النسائي

وصححه. وله أيضًا عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رجلًا قال للنبي صلى الله عليه وسلم: ما شاء الله وشئت، فقال: «أ جعلتني لله ندًا؟ ما شاء الله وحده».

ولابن ماجه عن الطفيل أخي عائشة لأمها قال: رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود، فقلت: إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: عزير ابن الله. قالوا: وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. ثم مررت بنفر من النصارى فقلت: إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: المسيح ابن الله، قالوا: وإنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد.

فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت، ثم أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته. قال: «هل أخبرت بها أحدًا؟ » قلت: نعم. قال: فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد؛ فإن طفيلاً رأى رؤيا، أخبر بها من أخبر منكم، وإنكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها. فلا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله وحده».

(الشرح)

وهذا الباب كما قلت: هو باب مهم جدًا في قضية توحيد الربوبية والتصرف.

قال: عن قتيلة أن يهوديًا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إنكم تشركون، تقولون ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة،

وبعضهم يقول: عن قُتيلة، الذي يظهر أنه عن قتيلة، هذ اليهودي جاء لا لأجل النصيحة، بل جاء لا لأجل النصيحة، بل جاء لأجل القبح والعيب في النبي ﷺ وفي المسلمين، واليهودي كل من يكون على دين موسى عليه السلام؛ سواء كان من بني إسرائيل أو من غيره.

والكعبة أصلها في اللغة تُطلق على كل بناء مربع، والمراد به هنا بيت الله ﷻ في مكة المكرمة الذي أمر الناس بحجه واستقباله للصلوات، وقال: إنكم والخطاب للمسلمين وأكد بـ إن، ومما يدل على أن اليهود يعرفون الشرك. فليس عندهم جهل، لكن عندهم عناد.

وهنا انتقد اليهود المسلمين في مسألتين، وهاتان المسألتان كلتاهما من الشرك، والأولى: التسوية بين الله ﷻ وبين مخلوقه في لفظ المشيئة. والثانية: الحلف بغير الله ﷻ. فأمرهم طلب منهم، على وجه الاستعلاء.

فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: «ورب الكعبة، وأن يقولوا: ما شاء ثم شئت». فوضع الواو للعطف تفيد الموافقة، والنبي ﷺ وافق على هذا الشيء، على أن قول ما شاء الله وشئت أنه من الشرك.

والآن كنا نتكلم عن حديث قتيلة –رضي الله عنه–، الآن في النهاية النبي ﷺ وافق على هذا الكلام، وبينه له الشرك، لماذا؟ لكنه للشرك الأصغر، ليس من الشرك الأكبر، لماذا؟ لقضيتين:

أولًا: نفيًا لاعتقاد الصحابة، وثانيًا: قوله ﷺ في الحديث: «كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم» ولو كان من الشرك الأكبر –انتبهوا– لما تردد.

قد يأتي بعض المتفلسفين، ويقول: وهل النبي ﷺ استحى أن يعترض على الصحابة؟ نقول: لو كان من الشرك الأكبر، لما تردد. ولأن الشرك الأكبر معروف هو النهي عنه، لكن هذه من صور الشرك الأصغر، وقد تكون منتشرة عند الناس؛ خصوصًا في بداية العهد النبوي، وكانت بعض الأشياء موجودة عند الصحابة، فكان النبي ﷺ ينهى عنها شيئًا فشيئًا.

وطبعًا هذه من الصور: ما شاء الله ثم شئت. لها ثلاث صور، أكملها أن يقول: ما شاء الله وحده. وهذه جاءت في الحديث الثاني والثالث. والصورة الثانية: أن يقول: ما شاء الله ثم شئت، وهذه الصيغة الواجبة. كانت مرت معنا في الباب الماضي.

وفي قوله: فأمرهم أن يقولوا: ما شاء الله ثم شئت. والصورة الثالثة أن تقولي: ما شاء الله وشئت. وهذه حرام. طبعًا مناسبة الحديث: قوله ما شاء الله وشئت، إذا لم يكن فيها اعتقاد أنه مساو للهﷻ فإنه من الشرك.

قال بعدها: وله أيضًا عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رجلًا قال للنبي صلى الله عليه وسلم: ما شاء الله وشئت، فقال: «أ جعلتني لله ندًا؟ ما شاء الله وحده». أجعلتني وسيرتني كلها استفهام للاستنكار، ندًا مثيلًا وشبيهًا، ثم أرشده النبي ﷺ إلى أفضل الصيغ وهي أن يقول: قال: قل ما شاء الله وحده.

وجه مناسبة هذا الحديث: أن قول ما شاء الله وشئت، من جعل لله ندًا، لكنه ليس بقول النبي: كان يمنعني كذا وكذا، بالنظر إلى أن الصحابة كانوا حديثو عهد الإسلام، وكانوا لا يسوون بين الله ﷻ وبين خلقه في المشيئة. فيكون هذا من باب شرك الألفاظ، الشرك الأصغر.

ولابن ماجه عن الطفيل أخي عائشة لأمها؛ وهذا الحديث كان عبارة عن رؤية منامية، والدليل في آخر الحديث ما يثبت ذلك، من كلام النبي ﷺ، لما قال: ثم قال: «أما بعد؛ فإن طفيلاً رأى رؤيا، أخبر بها من أخبر منكم، وإنكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها. فلا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله وحده».

النفر يُطلق على جماعة من الثلاثة للعشرة، قال: رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود، فقلت: إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: عزير ابن الله. ومعناها نعم القوم أنتم. يعني: نعم أنتم؛ لولا أنكم تسبوا الله ﷻ، كيف يسبوا الله ﷻ؟ بأن نسبوا له الولد، والله ﷻ قد تبرأ منهم. والمراد بعزير رجل صالح من أنبياء بني إسرائيل.

النصارى هم كل من يدعي أنهم على دين عيسى بن مريم عليه السلام، وتكلمنا عن اليهود وقلنا: أنهم كل من يدعي أنهم على دين موسى، والنصارى بعضهم يُسميهم المسيحيين،

وهذا تلطف معهم؛ لكن هذا التلطف ينبغي أن يُمنع منه الناس، لا تسموهم بالمسيحيين، والمسيحيين هم من كانوا في عهده ﷺ. والآن لن نقول لهم مسيحيين، نقول عليهم نصارى.

قال: لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. ثم مررت بنفر من النصارى فقلت: إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: المسيح عيسى ابن الله، وهو أحد أولي العزم من الرسل، كذلك موسى عليه السلام أحد أولي العزم من الرسل.

قال: فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت، هذا الكلام فيه جواز الإخبار بالرؤية إذا كانت رؤية طيبة، حمد الله ثم الحمد الثناء على الله ﷻ على المحبة والتعظيم وأثنى عليه التكرار.

قال: كان يمنعني كذا وكذا. أي: أنه لم يؤمر بإنكارها، فلو جاء الأمر من الله لأنكرها، وهي من الشرك الأصغر كما قلت لكم قبل قليل.

(المتن)

قال: باب من سب الدهر فقد آذى الله.

وقول الله تعالى: {وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ} [١].

في الصحيح عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قال الله تعالى: يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر، وأنا الدهر، أقلب الليل والنهار» وفي رواية: «لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر».

(الشرح)

هذا الباب أيضًا يتعلق بتوحيد الربوبية، وتعظيم الله ﷻ، هذا هو الباب الخامس الذي تكلمنا عنه قبل قليل. وطبعًا السبب هنا -انتبهوا أخواتي بارك الله فيكم- هو الشتم

[١] الجاثية: ٢٤.

والتقبيح وهو غير اللعن، وأن كانت عند العوام أن السب هو اللعن، لكن الصحيح أن السب هو الشتم والتقبيح، ومثال السب مثلًا أن يقول: قبح الله فلان، وأن يقول فلان: قصير. وأن يقول: فلان الحقير، وهذه الكلمات مثلًا، على شتمه وتقبيح، لا لعن.

الدهر يُقصد به الزمان الليل والنهار، ويقلب الليل والنهار كما سيأتيننا بعد قليل، والآن قوله: من سب الدهر فقد آذى الله. والفاء هنا وقعت في فاء الشرط، فقد آذى الله، أي: أن السب يؤذي الله ﷻ، وهنا قضية مهمة قد يأتي متفلسف ويقول: يؤذي الله كيف؟ يقول: نعم. يؤذي الله ﷻ ولكن لا يضره. وهناك فرق بين الأذية والضرر، فهم يؤذون الله ﷻ ولكن لا يضرونهم. قال: الله ﷻ: {لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى}[آل عمران: ١١١]، وقال: {إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا} [الأحزاب: ٥٧]. ومن سمع بما يكره، فإنه يتأذى به، لكن لا يستلزم أن يضره، واضح أخواتي بارك الله فيكم. أحسنتم.

الآن مسألة: لماذا مسبة الدهر تُعد أذية لله ﷻ؟ هذه مسألة مهمة، نقول: لأنه ينافي تعظيم الله ﷻ وفيه اعتراض على الله ﷻ فيما أوجد في الدهر من الحوادث.

طيب ما هو حكم سب الدهر؟ نقول: سب الدهر على أقسام ثلاثة: أما أن يسبه على أنه فاعل للحوادث، وهذا شرك أكبر. يدل عليه الآية الأولى. وأما أن يعتقد أن الله ﷻ هو الفاعل ولكنه يسبه لأنه وقعت في الدهر أمور مكروهة وحوادث مؤلمة. وهذا الحكم محرم.

كما ذكرت الأخت الآن: كأن يقول أحدهم هذا يوم أسود، طبعًا يذكره على التأسف، أو يقول: لا بارك الله في هذه الساعة، واليوم المشئوم أن يقول: أيلول الأسود، كما هو معروف أو أيام النكسة. وكل هذا محرم، لكنه مناظرة للتي قبلها.

وهذا كما وردت فتاوى المشايخ فيه ومنهم شيخنا ابن باز –عليه رحمة الله– وغيره، أو بعضهم قد يقول: مثل الزمان غدار. ألفاظ كثيرة عند العوام.

القسم الثالث: أن يصف الدهر بالشدة والغلظة، يقصد الخبر المحض. دون اللوم هذا جائز، قال الله ﷻ: {ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ}[يوسف: ٤٨]. وصفها الله بأنها شداد، على سبيل الخبر المحض دون اللوم والتأسف. وقوله: {سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا} [الحاقة: ٧]. ومثاله أن تقول أيضًا: هذا يوم شديد البرد، وهذا شديد الحر.

الآن القول الذي انتشر بعام الحزن وعام المجاعة، وهذا ورد في أحداث السيرة، نقول هذا من باب الإخبار، وهذا جائز، الناس متى يسبون الدهر، لا يسبون الدهر إلا في العادة عند النوازل. أو عند الحوادث المكروهة، أما في السراء لا يسبون الدهر إلا النادر. وهذا واضح.

قال: وقول الله تعالى: {وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ} يعني: لا حياة إلا حياة الدنيا، وهذا تكذيبًا منهم بالبعث بعد الموت، يعني: يموت قومًا ويعيش آخرون، وما يفنينا كفناء عام للإنسانية إلا الدهر، إلا مر الأيام والليالي. تذهب الأيام وتمر الليالي.

قال: { يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ} [الجاثية: ٢٤]. يعني: متوهمون ومتخيلون لهذه القضية، وطبعًا مناسبة الآية، أن نسبة الحوادث إلى الدهر خلقًا وإيجادًا كفر بالله ﷻ. نسأل الله السلامة.

وذكر ذلك أيضًا في الصحيح عن أبي هريرة، وهذا الحديث يُسمى حديثًا قدسيًا، وقلت لكم قديمًا: الحديث القدسي كل ما صُدر بقول: قال الله ﷻ وما في معناها. قال الله ﷻ: «قال الله تعالى: يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر، وأنا الدهر، أقلب الليل والنهار» وفي رواية: «لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر».

لماذا يؤذي ابن آدم الله؟ يسب الدهر من الأقوال والأفعال، ذم الدهر ذمًا، على أساس أن الفاعل للمصائب هو الدهر، وعلى أساس أنه ظرف يحتوي هذه المصائب التي تقع فيه.

وقال الله تعالى: أنا الدهر، يعني: أنا رب الدهر. أنا مالك الدهر، وأنا المتصرف بهذا الدهر وما يقع فيه. فإن الدهر هو الله، والله هو المتصرف بالدهر، وما يقع فيه.

ثمة مسألة: هل الدهر اسم من أسماء الله ﷻ؟ وقع خلاف بين العلماء، وبعضهم أسند أنه اسم من أسماء الله مثل ابن حزم –عليه رحمة الله– وبعضهم قال: ليس اسم من أسماء الله، وهذا هو الصحيح.

الصحيح أنه ليس من أسماء الله ﷻ لأمور، منها أن السياق يأبى ذلك، ففسره، وقال: أنا الدهر أقلب الليل. ومنها أن أسماء الله ﷻ حسنى، والدهر اسم جامد لا يتضمن كمالًا.

وأيضًا لو كان من أسماء الله ﷻ لكان كلام الكفار صحيحًا، عندما قالوا: وما يهلكنا إلا الدهر.

مسألة أيضًا: ما حكم قول القائل: لم تسمح لي الوقت، والظروف لم تسمح لي؟ هل هي مسبة الدهر، أنت تقولي: لم تسمح لي الظروف، وعدم السماح للظروف، أو للدهر، نقول: فيها قصدين: إذا كنت تقصدين لم يحصل الوقت فيه تمكين الحضور فهذا جائز، وأن كنت تقصدين أن الظروف لها تأثير في المنع، فهذه لا تجوز. واضح أخواتي بارك الله فيكم.

ومنه أيضًا قول القائل: تدخل الأقدار وتدخل عناية الله، أو كذا. طبعًا تدخلت الأقدار وعناية الله، طبعًا لا تجوز تدخلت الأقدار، يوحي بأنه القدر معتدي، ويقصد بالقدر هنا هو الله ﷻ، تدخلت عناية الله هي كلمة فيها إيهام، يعني: موهمة. فنقول: بسبب هذا الإيهام لا يجوز لنا أن نقولها، وفي كلا الحالتين، فلا تُنسب الحوادث إلى

صفات الله ﷻ، وإنما تُنسب إلى الله ﷻ. مثله: شاءت قدرة الله، إنما يقول الإنسان شاء الله.

هنا نقف عند قول المصنف: باب التسمي بقاضي القضاة. أسأل الله ﷻ أن يمنّ عليّ وعليكم بالعلم النافع والعمل الصالح، وهذا والله ﷻ أعلى وأعلم وليس من العلم إليه أسهل، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين. جزاكم الله خيرًا على صبركم وحسن استماعكم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تم هذا الدرس يوم الإثنين بتاريخ ٢٥ \صفر\ ١٤٣٧ هـ الموافق ٧\١٢\٢٠١٥م

معهد العلوم الشرعية ١٤٢٩هـ